الباب الأول

اللامبالاة في ترك السنة وعدم العمل بها

عن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا إنِّي أُوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بالقرآن؛ فما وجدتم فيه من حلال فأحلُّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه**»[1].

وفي رواية: «**ألا وإنَّ ما حرَّم رسولُ اللهِ مثل ما حرَّم اللهُ**»[2].

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٢) رواه أحمد وابن ماجه.

مظاهر اللامبالاة بترك السنة وعدم العمل بها

ومن مظاهر اللامبالاة الخطيرة اللامبالاة بالسنة النبوية وعدم العمل بها، والناس فيها على قسمين:

القسم الأول - سمى نفسه القرآنيين.

القسم الثاني - قسم أقرَّ بها، ولكنه لا يبالي في تركها.

فمن حين لآخر، يظهر في المجتمع الإسلامي أناس حاقدون على هذا الدين وكثير منهم ينتمون إليه، ولكنهم يجهلون حقيقته، فيعمدون إلى ترويج آرائهم الجائرة بالطعن في السنة النبوية!، والحال أنها المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية قائلين: «يكفينا كتاب الله، نعمل بما جاء فيه، بحجة أن السنة دُونت بعد وفاة النبي ﷺ بزمن يسير، وقد شابها ودخل فيها الكثير من الزيف مما حملهم على أن يتناولوا الكتب الصحاح كالبخاري ومسلم وغيرهما بالنقد والهدم، وغالبًا ما تكون وراءهم أيدٍ خفية من أعداء الإسلام تحركهم، وتدفعهم إلى هذا الافتراء الذي يقصدون من ورائه التشكيك والبلبلة»، ثم هدم الدين لبنة بعد لبنة، حتى يتسنى لأولئك الأعداء أن يشبعوا نهمهم، ويشفوا غليلهم بالقضاء عليه، ولكنهم لن يجدوا إلى ذلك سبيلاً، وسيرد كيدهم إلى نحورهم، وهذا القسم هو الذي أشار إليه النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه عن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه قال: «ألا إنِّي أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه»، وفي رواية: «ألا وإنَّ ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله»[1].

---

(١) سبق تخريجه.

وهذا عمران بن حصين رضي الله عنه: عندما دعا رجل إلى الاكتفاء بكتاب الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وترك سنة رسوله ﷺ، فقد سأله ذلك الرجل عن شيء؟، فأجاب بحديث رسول الله ﷺ، فقال له ذلك الرجل: «حدثوا عن كتاب الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ولا تحدثوا عن غيره»، فقال عمران: «إنك امرؤ أحمق! أتجد في كتاب الله صلاة الظهر أربعًا لا يُجهر فيها؟، وعدَّ الصلوات، وعدَّ الزكاة ونحوها، ثم قال: أتجد هذا مفسرًا في كتاب الله؟ كتاب أحكم ذلك والسنة تفسر ذلك».

وفي رواية عن الحسن رضي الله عنه قال: بينما عمران بن حصين يحدث عن سنة نبينا محمد ﷺ، إذ قال له رجل: يا أبا نجيد: «حدثنا بالقرآن»، فقال له عمران: «أنت وأصحابك تقرأون، أكنت محدثي عن الصلاة وما فيها وحدودها؟، أكنت محدثني عن الزكاة في الذهب والإبل والبقر وأصناف المال؟، ولكن قد شهتُ وغبت أنت»، ثم قال: «فرض علينا ﷺ في الزكاة كذا وكذا»، فقال الرجل: «أحييتني أحياك الله»، قال الحسن: فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين[1]، وقال رجل للتابعي الجليل مطرف بن عبد الله ابن الشخير: «لا تحدثونا بالقرآن»، فقال له مطرف: «والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا» ـ يريد رسول الله ﷺ ـ.

أدلة حجية السنة النبوية

إلى هؤلاء الذين لم يبالوا بسنة رسول الله ﷺ، وجعلوها وراء ظهورهم، وادعوا أنه لا حاجة لنا في تلك السنة، وأنها من تأليف التابعين، إلى هؤلاء أدلة حجية سنة رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه أحمد في مسنده.

الدليل الأول - القرآن الكريم:

آيات القرآن الكريم فيما يتعلق بحجية السنة النبوية بينت أمورًا:

(أ) وجوب الإيمان والتصديق بكل ما يبلغه رسول الله ﷺ سواء أكان بالقرآن أو بغيره من أقواله وأفعاله وتقريراته، فمن ذلك يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١٣٦)، وقوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١).

(ب) أن رسول الله ﷺ مبيِّنٌ للكتاب الكريم شارحٌ له شرحًا مقبولاً عند الله تعالى، مطابقًا لما حكم به على عباده، فمن ذلك: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء: ١١٣)، فالحكمة كما قرر الشافعي رضي الله عنه هي السنة؛ لأن الله تعالى في هذه الآية وما ماثلها قد عطفها على القرآن الكريم، وذلك يقتضي المغايرة، فهي ليست إياه ولا يصلح أن تكون شيئًا آخر ـ غير القرآن والسنة ـ، لأن الله قد منَّ علينا بتعليمها، والمن لا يكون إلا بما هو صواب وحق عنده ـ جَلَّ شأنه ـ فتكون الحكمة هي السنة النبوية واجبة الاتباع كالقرآن الكريم، لاسيما وقد قرنها الله ـ جَلَّ شأنه به ـ.

(جـ) وجوب الطاعة المطلقة لرسول الله ﷺ، فمن ذلك: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء: ٥٩)، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (المائدة: ٩٢)، ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٣).

(د) وجوب اتباع رسول الله ﷺ في جميع ما يصدر عنه، والتأسي به، وأن اتباعه لازم لمحبة الله تعالى، فمن ذلك: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)، ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، إذن عُلم مما سبق أن الدليل الأول على حجية السنة النبوية، إنما هو القرآن الكريم، كما سبق بيانه.

١- وجوب الإيمان والتصديق بكل ما يبلغه رسول الله ﷺ.

٢- أن نبي الله ﷺ مبيِّن للقرآن الكريم شارح له.

٣- وجوب الطاعة المطلقة لرسول الله ﷺ، وجوب اتباع رسول الله ﷺ في جميع ما يصدر عنه.

الدليل الثاني - تعذر العمل بالقرآن الكريم وحده:

من المعروف أن بعض نصوص القرآن الكريم مجملة وأخرى مشكلة، ولابد لفهمها والعمل بها من شرح وتوضيح وتأويل وتفسير، إما بصورة قولية أو فعلية من ذات معصومة مؤيدة بالوحي، والأمثلة كثيرة منها:

في العبادات: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ٤٣)، يتساءل المكلف عن ماهية هذه الصلاة التي أوجبها الله؟ وما كيفيتها؟ وما وقتها؟ وما عددها؟ وعلى من تجب؟ وكم مرة تجب في العمر أو في اليوم؟

وما هي الزكاة؟ وعلى من تجب؟ وفي أي مال تجب، وما مقدارها؟ وما شروط وجوبها؟

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة:١٩٦)، ما المراد بها؟ وما حقيقتها إسلاميًا؟.

وفي المعاملات المالية: هل يقتصر التعامل المالي على البيع والرهن فقط؟، وما مشروعية غيرهما إذن كالسَّلم ـ مثلاً ـ؟، ثم ما هو البيع الجائز شرعًا؟ وما شروطه؟ . . إلخ.

وفي نظام الأسرة (الأحوال الشخصية): ما هي الشروط التفصيلية لصحة عقد النكاح؟ ومتى وبم يقع الطلاق؟ ومتى يحرم الرضاع؟ وكيف يكون الخلع؟

وقس على ذلك الأطعمة والأشربة، والأعمال الطبية، والأيْمان والنذور، والجهاد والحدود . . إلخ.

الدليل الثالث ـ تقرير الله تعالى لتمسك الصحابة بالسنة النبوية في حياته ﷺ:

ما روي أن النبي ﷺ كان يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه، فوضعهما عن يساره، فلما رأى القوم ذلك ألقوا نعالهم، فلما قضى صلاته، قال: «**ما حملكم على إلقائكم نعالكم؟**»، قالوا: «رأيناك ألقيت نعليك»، فقال: «**إن جبريل أخبرني أن فيهما قذرًا**»[1].

وما روي أن عليًا رضي الله عنه قال: كنت رجلاً مذَّاءً فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ، فأمرت رجلاً فسأله فقال: «**فيه الوضوء**».

الدليل الرابع ـ السنة النبوية:

ومنها: خبر: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي،**

(١) رواه الحاكم.

ولا كل ذي ناب من السباع. ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، وله أن يعقبهم بمثل ما أقروه»[(١)].

الدليل الخامس ـ أن السنة نوعان:

وحي، وما هو بمنزلة الوحي؛ فأما ما كان وحيًا فهو ما صدر عنه ﷺ لتبليغ الأحكام عن الله تعالى، كأقواله وأفعاله ﷺ، وأما ما كان بمنزلة الوحي، فهو ما صدر عنه ﷺ، غير قاصد به تبليغ أحكام عن الله تعالى، وقد أقره الله تعالى، فيكون بمنزلة الوحي، كتقريره ﷺ مثلاً، والنوعان يدل عليهما قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣-٤).

الدليل السادس ـ الإجماع:

ويتضح هذا في أن أئمة المجتهدين سلفًا وخلفًا قد تمسكوا بالسنة النبوية محتجين بها، عاملين بمقتضاها، ومما قالوه: «إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط»، فحجية السنة النبوية انعقد إجماعهم عليها واتفقت كلمتهم عليها، وتواطأت أفئدتهم ولم يتخلفوا في ذلك من حيث الجملة[(٢)].

واعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن القرآن مع السنة ثلاثة أوجه كما أوضح العلامة ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين) يقول: إن السنة مع القرآن لها ثلاثة أوجه:

الأول ـ أن تكون السنة موافقة للقرآن من كل وجه، وهذا من باب «توارد الأدلة وتضافرها»، بمعنى: أن القرآن يأمر بالتوحيد والصلاة والصيام والزكاة والحج، فتأتي السنة هي الأخرى لتؤكد على هذه الأركان، فيقول النبي ﷺ

---

(١) رواه أبو داود عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٢) «السنة النبوية الشريفة» د/ أحمد كريمة (ص٨: ١٥)، بتصرف يسير.

كما في الصحيحين من حديث ابن عمر: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً»

الثاني - أن تكون السنة بيانًا وتفسيراً لما جاء في القرآن على سبيل الإجمال، فالله - تبارك وتعالى - أمر في القرآن بالصلاة وأمر في القرآن بالصيام، ولكن كيف نصلي وما أوقات الصلاة وما عددها، وما أركانها، وما واجباتها، وما مبطلاتها، كل هذا ليس في القرآن، وإنما يوضح هذا كله سنة سيد ولد عدنان، فيأتي صاحب السنة ليقول: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وهكذا في باقي العبادات.

الثالث - أن تكون السنة موجبة لما سكت القرآن عن إيجابه، أو محرمة لما سكت القرآن عن تحريمه، وهذا من أخطر أوجه السنة مع القرآن[1].

بيان فرض الله في كتابه اتباع سنة نبيه ﷺ

وهيا لنقف مع الإمام الشافعي وهو يوضح لنا تلك الحقيقة في كتابه أصل الأصول، ألا وهو (الرسالة)، يقول - رحمه الله -: وضع الله رسوله من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذي أبان جل ثناؤه، أنه جعله علمًا لدينه لما افترض من طاعته وحرم من معصيته، وأبان من فضيلته بما قرن من الإيمان برسوله مع الإيمان به، فقال - تبارك وتعالى -: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ (النساء: ١٧١)، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ...﴾ (النور: ٦٢)، فجعل كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تبع له الإيمان بالله، ثم برسوله معه، فلو آمن عبده به، ولم يؤمن برسوله لم يقع عليه اسم

---

(١) «مجلة التوحيد» عدد ربيع الآخر (١٤٢٠) (ص٥٧).

كمال الإيمان أبدًا، حتى يؤمن برسوله معه، وهكذا سن رسول الله ﷺ في كل من امتحنه للإيمان؛ أخبرنا مالك بن أنس عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم قال: أتيت رسول الله ﷺ بجارية، فقلت: «يا رسول الله، عليَّ رقبة أفأعتقها؟»، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين الله؟»، فقالت: «في السماء»، فقال: «من أنا؟»، قالت: «رسول الله»، فقال: «أعتقها».

قال الشافعي: وهو معاوية بن الحكم كذلك رواه غير مالك وأظن مالكًا لم يحفظ اسمه.

قال الشافعي: ففرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله، فقال في كتابه: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩)، وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (آل عمران: ١٦٤)، وقال ـ جَلَّ ثناؤه ـ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ (البقرة: ١٥١)، وقال ـ جَلَّ ثناؤه ـ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ (الجمعة: ٢)، وقال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾ (البقرة: ٢٣١)، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ (النساء: ١١٣)، وقال: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب: ٣٤).

فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن، يقول: الحكمة: سنة رسول الله، وهذا يُشبه ما قال والله أعلم، لأن القرآن ذُكر واتبعته الحكمة، وذكر الله منَّته على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز ـ والله أعلم ـ، أن يُقال: الحكمة ها هنا إلا سنة رسول الله، وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله، وإن الله افترض طاعة رسوله وحتم على الناس اتباع أمره»[1].

---

(١) «الرسالة» (ص٢٥).

علماء الأمة يردون على منكري السنة

إلى هؤلاء الذين لم يبالوا بسنة رسول الله ﷺ وجحدوا بها، واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا، إلى هؤلاء الذين باعوا دينهم من أجل عرض من الدنيا حقير، إلى هؤلاء العابثين الذين لم يقرؤوا كتاب الله تعالى، ولم يفهموا آياته وأحكامه، إلى هؤلاء جميعًا ذلك الرد المفحم من علماء الأمة الإسلامية وهم يظهرون عور هؤلاء الجاحدين.

وقد نشر هذا الرد في مجلة التوحيد عدد ربيع الآخر ١٤٢٠هـ (ص٤٠-٤٧)، وإليك نصه:

الذي حفظ القرآن هو الذي حفظ السنة:

ويعلق الأستاذ نصر فريد واصل، مفتي جمهورية مصر العربية، قائلاً: إنه لا يصح إلا الصحيح، ودائمًا نحن ندافع عن الإسلام ونبين أن السنة هي الوحي الثابت الذي لا غنى عن القرآن في بيانه وفي فهمه وفي تفسيره للناس، وفي تطبيقه في كل زمان وفي كل مكان، لأن السنة هي القرآن غير المتلو، فالقرآن هو كتاب الله الخالد الذي تعبدنا الله بتلاوته وقراءته، والذي لا تبديل ولا تغيير، أما السنة: فهي الوحي غير المتلو التي جاءت متممة ومكملة لكل ما جاء بالقرآن الكريم؛ نوضح للجهلاء بالحكمة والموعظة الحسنة!!.

ويواصل الدكتور واصل مفتي الجمهورية حديثه قائلاً: إن قضية إنكار السنة لا تقلق المسلمين بحال؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ تولى حفظها، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

والذكر: هو القرآن الكريم، والسنة: هي مكملة للقرآن الكريم، فالذي حفظ القرآن هو الذي حفظ السنة، وهو الذي حقق لها التدوين، وحقق لها هذا الحفظ في هذه الكتب، التي أصبحت كالقرآن الكريم في التراث الذي تحتويه

هذه السنة، وما يأتي من أقوال بين الحين والآخر، هذا أمر كمن ينكر طلوع الشمس، وهي ساطعة، فإن الأعمى إذا أنكر طلوع الشمس وهي طالعة، فماذا يضرها؟، فهذا لا يضر السنة ولا يضر الإسلام، ولله الحمد، فنحن نوضح الأمور للجهلاء والمعاندين والمشككين ونرد عليهم كيدهم، نوضح ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى لا يضل الجهلاء والعامة، والذين لا يعرفون هذه الحقيقة، ولكن هناك بين هذا وذاك من يشتبه عليهم الأمر في بعض الأمور، أو قد يكون ذلك من باب الحرص على أمرها في نظره من خلال الحرص على الشريعة والدفاع عنها، ولكن بفهم غير شرعي، فهو إن كان حسن النية، فنقول: إنك أخطأت الاجتهاد، لأن ذلك يتعارض تعارضًا كاملاً مع ما هو مقطوع به في الكتاب والسنة، وإن كان غير ذلك، فأمره إلى الله سبحانه، ولكن لنا الظاهر.

.. يفعلون كما فعلت الدابة بصاحبها ..

ويشدد فضيلة المفتي في كلماته إلى العابثين بأمر السنة، قائلاً: إنني أقول لهؤلاء إنكم عندما تنكرون السنة في أمر معين، وتدعون إلى الحرص على الإسلام، والتمسك بالإسلام من خلال دفع مفهوم معين، وهو تمسك غير العاملين وغير المؤمنين، أو العصاه بهذه الشفاعة والكسالى الذين لا يعملون، هذا الفهم بإطلاقه هكذا غير مستقيم في النظام الإسلامي، ونقول لمثل هؤلاء، إنهم يفعلون كما تفعل الدابة التي قتلت صاحبها لحرصها عليه، فإنها عندما جاءت هذه الذبابة التي وقعت وجاءت بحجر كبير، وألقتها تدفع هذه الذبابة، فقد قتلت صاحبها . . ولذلك نحن نقول لمثل هؤلاء: على رسلكم وأرجعوا الأمور إلى نصابها، واذهبوا إلى المتخصصين في الفقه الإسلامي وفي الشريعة الإسلامية، وإلى علماء الحديث لتعلموا ما تجهلونه، وذلك عملاً بقوله تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣)، فنحن إذا ذهبنا إلى من يداوي في المرض فلا نذهب إلا إلى الطبيب، وكذلك كل متخصص له اختصاصه، والعقل يأمرنا بذلك، فلماذا نغفل القاعدة مع أمور الدين ونتبعها في أمور الدنيا، نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى الذود عن كل الشبهات التي تدور حول كتاب الله وسنة رسوله.

فما أشبه اليوم بالبارحة

يقول فضيلة الشيخ فوزي الزفزاف ـ وكيل الأزهر ـ: إن تعرض السنة النبوية أو تعرض مصادر التشريع للإنكار، ومحاولة النيل منها ليست جديدة فقد ألفنا ذلك من أزمان بعيدة، والحمد لله الإسلام فيه رجال يستطيعون أن يفندوا هذه المزاعم بالحجة والبرهان، فهذه الحملة الشرسة على الإسلام، أو على السنة ما هي إلا مؤامرة تحاك أطرافها من عدة جهات تريد القضاء على الإسلام، باعتبار أنهم يستفيدون من تشتت المسلمين ومن التفرقة، فالهجوم على السنة ليس هجومًا جديدًا، وإنما هو امتداد لمعارك قديمة، قامت بين الحق والباطل، فالحمد لله عندنا من الحجج والأدلة ما يدحض أقوال هؤلاء، لأنهم في الواقع لا يقصدون الإسلام، فهم يدخلون إلى السنة أولاً باعتبار أنها مدخل، ثم بعد ذلك سينتقلون إلى القرآن، وحاشى لله أن يصلوا إلى هدفهم، فإن شاء الله وبعون الله تعالى نحن قادرون على تفنيد ما يدعون وسوف ينتصر الإسلام وينتصر القرآن والسنة على هؤلاء العابثين.

والغريب أنك لو نظرت إلى أطراف هذه المؤامرة في كل قطر في الشرق والغرب، وفي كل بلد إسلامي تجد أن هناك خيوطًا تدل على التواصل بين هؤلاء المتآمرين، وفي النهاية سينتصر الإسلام بإذن الله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٦٤)، ولن ينال هؤلاء إلا أن يرد كيدهم في نحرهم ـ بإذن الله ـ.

الهجوم على السنة من الحمقى والجهلاء

ويقول الدكتور عبد الرشيد سالم ـ وكيل أول وزارة الأوقاف لشئون الدعوة: إن الذين يهاجمون السنة هم قوم جهلاء لا يعرفون السنة، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ عندما أرسل سيدنا محمدًا ﷺ وأنزل عليه القرآن، واختاره من بين خلقه أمره بالتبليغ، وأن يعلم الناس أمور دينهم، وأن يوجه الدنيا كلها، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ١-٢)، إذًا فكلام الرسول ﷺ ونومه وحركاته وسكناته ومشيه في الطريق وجلوسه مع الناس وخروجه وحروبه وسلمه وتوجيهاته، كل ذلك سنة، فمن يستطيع مهاجمتها إلا إذا كان أحمقَ أو جاهلاً لا يعرف السنة.

وأضاف الدكتور/ عبد الرشيد سالم قائلاً: إننا إذا نظرنا إلى السنة سنجد أنها تنقسم إلى سنة عملية، وسنة تطبيقية، وسنة قولية، وهناك الصحيح الذي أصبح عليه إجماع الأمة لا يستطيع أحد أن يتكلم فيها لا بالحق ولا بالباطل، فكيف يمكن التشكيك في ما استقر في وجدان الناس، وفي وجدان الأمة على مدى أربعة عشر قرنًا من الزمان، منهم مئات الآلاف من العلماء، والعلماء نقلوها إلى الآخرين، وأصبحت شيئًا ثابتًا في وجدان الناس وفي وجدان الأمة، فإن ذلك له يقينه بالدراسات التي قال عنها علماء الغرب: إن من أعظم ما تم دراسته وحفظه والعناية به في تاريخ البشرية كلها هو سنة رسول الله ﷺ.

وأكد الدكتور/ عبد الرشيد: على أنه يجب على الجهلاء الذين لا يعرفون السنة ألا يتكلموا فيها، وأنه ليس هناك شيءٌ في الكون تمت دراسته، كأحاديث الرسول ﷺ، من حيث الجرح والتعديل، والرجال، والسند، والتواتر، والتصحيح، والرفض.

يريدون أن يسيئوا إلى الإسلام

ويؤكد الدكتور/ محمد إبراهيم الجيوشي ـ العميد الأسبق لكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر، والرئيس الأسبق للمركز الإسلامي بلندن، والأستاذ بجامعة الأزهر ـ في رده على ما تتعرض له السنة الآن من هجوم شرس من أعداء الإسلام: إن ما يحدث الآن ليس بجديد، وإنما هي حملة ممتدة على ألسنة الخارجين على القيم منذ البداية، وحتى اليوم والسنة قد حفظها الله، ومادام الله قد حفظها، فلن تنال منها هذه الأشياء التي يقول بها الذين ليس لهم ضمير ديني، ولا ثقافة دينية واعية، وقد كتبت عدة مقالات حول هذا الموضوع كمصدر ثاني للتشريع، فإذا أنكرت السنة، فكيف تعرف كيف تصلي، وكيف تزكي، وكيف تحج؟ كل هذا أخذناه من السنة، فالذين ينكرون السنة، إنما ينكرون أمراً هامًا من أمور الدين، وإنما يريدون أن يبلبلوا أفكار المسلمين، أو يسيئوا إلى الإسلام كدين، أو أنهم ـ كما أرى ويرى الكثيرون ـ عملاء لجهات مختلفة، وعلينا أن نفتح أعيننا لهؤلاء ونقف لهم بالمرصاد، وأن ننبه الناس إلى ما يكتبونه ويذيعونه من أشياء لا أصل لها ولا حقيقة، حتى لا يقع الناس في فخاخهم، وبخاصة الشباب الذين ليس عندهم الرصيد الكافي من الثقافة الإسلامية، والذين ينخدعون بشيء يُقال هنا وهناك.

كيف ينكرون السنة ـ وعلامات الاستفهام تبدو واضحة على وجهه، وهو يقول ـ، كيف ينكرون السنة، والقرآن الكريم يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر:٧)، ويقول: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل:٤٤)؟، فالذي ينكر السنة إنما هو ينكر ما قاله القرآن، وهذه قضية مطروحة منذ البداية، حتى أن النبي ﷺ نبَّه إلى هذا وقال: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه».

فهذا أمر واضح على أن هؤلاء الذين ينادون بهذه الأشياء، إنما ينادون بأشياء مشبوهة، تلقى ظلال الشك على عقائدهم، وعلى سلوكهم، وعلى أخلاقهم، ونحذر الناس منهم، وعلماؤنا ـ رحمهم الله ـ، قد وضعوا قواعد لا حدَّ لها لحماية السنة، فهناك كتب تتحدث عن الرجال والسند والجرح والتعديل، وقواعد لم تعرف الأمم لها مثيلاً إلا في الأمة الإسلامية، لأنها حرصت على نقاء تراث نبيها ﷺ، وهؤلاء ندعو الله أن يهديهم.

وهؤلاء المارقون يكيدون للإسلام!!

يقول الدكتور/ طه خضير ـ رئيس قسم العقيدة بكلية أصول الدين بالقاهرة وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ: إن هؤلاء الذين يعتدون على حديث واحد من أحاديث السنة، هؤلاء هم المارقون، الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ، بأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من القوس، فجرأتهم ليست بجديدة، لكنه الكيد للإسلام، فالكيد للإسلام يبدو في ألوان متعددة مختلفة، فالبعض ينكر السنة، والبعض يتحدث عن توزيع أعمال الحج، بمعنى: أنه ليس هناك يوم عرفة معين، بل ينتقل من شهر لآخر، والبعض يتحدث عن إنكار الشفاعة، وكل هذه افتراءات على الإسلام.

ويؤكد الدكتور/ طه خضير: على أن الإسلام له رجال كثيرون يؤدون رسالتهم على خير وجه، ولكننا كثيرًا ما نجد من حين لآخر من يتطاول عن جهل وحماقة على هذا الدين، ولذلك فإنني هنا أطالب بتشكيل لجنة عليا مكونة من كبار العلماء تكون مهمتها مناقشة من يدعي هذا، وإنزال العقاب إذا كان هذا ما يدعيه من باب الافتراء على الإسلام، لأنه لا يجب أن يكون هناك نجار يتحدث في الطب، أو داعية يتحدث في الهندسة، فكل مهنة لها خواصها، والإسلام له اختصاص وله علماء متخصصون في دراسة الدين من كل نواحيه.

أطالب بوجـود رقابة ..

ويواصل الدكتـور/ طه خضير، قـائلا: إن الذي أريده أن تكون هناك رقابة عليا، هذه الرقابة تقـف كل إنسان عند حده ممن يفترون على الإسـلام، وتناقشه وتنزل به العـقاب إن كان مـخطئًا، حـتى يكون في هذا الردع لغيـره ممن يأتون بعده، أمـا أن تكون المسألة مـسألة أخـذ ورد ونقاش، فكل هذا يخـشى مردوده على العوام الذين لا يهتمون بالرد والأخـذ، وإنما تكون هناك زلزلة لبعض عقائد العوام؛ ولذلك أردت أن توجد الرقابة التي توقف هؤلاء عند حد معين.

إثبات الروايات هو قمة الجهد البشري

وفي اسـتنكار لما يحـدث من هجـوم على السـنة النبـوية، يقـول الأستـاذ الدكـتور/ إسمـاعيل الـدفتـار ـ الأستـاذ بكلية أصـول الدين جامـعـة الأزهـر الشريف ـ: إن مـوضوع إنكار السنة النبـوية ليس بجديد؛ وإذا كنـا نقول: ليس بجـديد، فمعـناه أنه أثير قـديمًا وحدثت ردود عليـه، وكلما أوقظت الفـتنة من أشخاص نجـد من يئدها في مهدها ولا تجد مـجالاً بين الناس، لأن هذا الإنكار وهذا الادعاء، إنما يقوم على أساس الوهم، وفي غـالب الأحيان يكون الجهل لما بذله علماؤنا الأولون من جهود، وهو سبب ذلـك ويكفي أن يعلم الناس جميعًا أن الجهد الذي بذله علماء الحديث النبوي الشريف لا يدانيه جهد للعلماء في أي مجال من المجـالات، وبخاصة في مجـال البحث التـاريخي، وهذا باعترف من كانوا على غيـر الإسلام ودرسوا الإسلام فهـداهم الله إليه، مثل الأستاذ مـحمد أسد ـ عليه رحمة الله ـ فقد قرر في كتابه (الإسلام على مفترق الطرق) ما يتصل بموضوع السنة والرد على المخالفين في كلمات وجيزه هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى الأستاذ الدكـتور/ أسد رستم، وهو أستاذ تاريخ لبناني، وهـو غير مسلم

يدرس في الجامعة اللبنانية، ومات على غير الإسلام، فامتدت به الحياة أكثر من تسعين عامًا، وقرر في كتاب له اسمه (مصطلح التاريخ): «إن ما قام به علماء الحديث وما قام به علماء القرآن في إثبات الروايات هو قمة الجهد البشري»، فبعد هذه الشهادات ـ وهي شهادات متخصصة ـ لا يبقى هناك مجال لمن لم يقرأ عن هذه الجهود، أو يعلم نفسه بدراسة هذه الجهود.

منكري السنة جهلاء

ويواصل الأستاذ الدكتور/ إسماعيل الدفتار حديثه قائلا: إنني أستطيع أن أقول بكل يقين وبكل تأكيد إن هؤلاء الذين يتكلمون في مجال إنكار السنة النبوية، إما مغرضون وحسابهم على الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وإما جاهلون وأولى بهم أن يتعلموا أو يسألوا إن لم يعلموا.

لا يستقيم للقرآن فهم إلا بالسنة

يقول فضيلة الشيخ/ محمد صفوت نور الدين ـ الرئيس العام لجماعة أنصار السنة، ورئيس لجنة الفتوى بالمركز العام ـ: إن رب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ لم ينزل إلى الناس كتابًا ليأمرهم أن يعملوا بما فيه دون بيان، إنما اصطفى نبينا، اختاره وأدبه وأنزل على هذا النبي كتابًا، وأمره أن يعمل بما فيه، وأمرنا أن نعمل بالكتاب على مقتضى عمل النبي ﷺ، بهذا المفهوم يصبح القرآن والسنة واحدًا، من هدم أحدهما فقد هدم الآخر، فلا يمكن أبدًا أن يستقيم للقرآن فهم إلا بالسنة، وإلا فالأمثلة على ذلك كثيرة جدًا لا يعمل بالقرآن إلا بإثبات السنة والعمل بها، والقرآن الكريم يأمر بطاعة الرسول ﷺ، ويصبح أمر القرآن بطاعة الرسول ﷺ أمر مهمل غير ذي بال، ولا يصبح أمرًا نافذًا، إذا لم يكن

هناك سنة نعمل بها، ورب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (المائدة: ٩٢)، فتصبح طاعة الرسول ﷺ بهذا المعنى وبهذا النص لا مفهوم لها!، فالكلام على إنكار السنة تعطيل للدين كله وهدم للقرآن نفسه، والذين يظنون أنهم عندما يطعنون في السنة، إنما يرفعون شأن القرآن، هؤلاء واهمون، فلا يطعن في السنة إلا خبيث أو جاهل إن أُحسن الظن به، وهذه بعض التساؤلات حول آيات القرآن التي بينتها السنة المطهرة، يقول سبحانه: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١)، فالكتاب: القرآن، والحكمة: السنة، فإن لم تثبت السنة، فكيف يكون الإسلام الدين الخاتم حجة الله على خلقه، وهو أيضًا في قوله: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (آل عمران: ١٦٤)، وقوله: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (النساء: ١١٣)، وقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣).

والواو في العطف تقتضي المغايرة، فمن لم يطع الله أو لم يطع الرسول فهو كافر، وطاعة الرسول ﷺ طاعة سنته، وكذلك في الآية: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (النساء: ٦٤)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء: ٥٩)، فردوه إلى الله يعني: إلى كتابه، وإلى الرسول يعني: إلى سنته، وقوله: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)، وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ (المائدة: ٩٢).

السنة بيان للقرآن

هذا ولابد من السنة للبيان، وإلا فأين في كتاب الله حلُّ السمك في أكله، ولو مات قبل ذبحه؟، مع أن الآية في الميتة عامة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ (المائدة:٣)، فأين استثناء ما كان في البحر؟.

القرآن الكريم أمر بإقامة الصلاة، فأين بيانها من القرآن أنها خمس صلوات في اليوم والليلة، ووقت كل صلاة، وأن الصبح ركعتان والمغرب ثلاث، وبقيتها أربع ركعات؟، وأين وصف الركعة أن في كل ركعة سجودين؟ وأن الركوع بين قيامين وبين كل سجدتين جلسة؟ وأين أذكار هذه الصلوات، وما تصح به الصلاة؟ وأين أن الوضوء ينتقض بالأحداث الناقضة، وغير ذلك؟!.

وكذلك جاء القرآن بالأمر بالصلاة والزكاة مقترنين، وحدد وقت زكاة الزرع: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (الأنعام:١٤١)، ولم يحدد بقية أنواع الزكاة، فهل كلما صلينا زكَّينا؟، وأين بيان النصاب والخارج منها؟.

وكذلك في الصوم، أين تحريم الصوم على الحائض، وأمرها بقضاء الصوم دون الصلاة؟، وما تحديد الليل في قوله: ﴿أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة:١٨٧)، وكيف يفهم: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ (البقرة:١٨٧)، بغير السنة الموضحة لذلك؟!.

وأما الحج، فكيف نفهم أن السعي بين الصفا والمروة ركن، مع قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (البقرة:١٥٨)، وفي المواريث، كيف نفهم قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ (النساء:١٢)، ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً

﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٧٦)، فأين لنا أن الأولى في الإخوة لأم؟ والثانية لأب، أو الإخوة والأشقاء إلا من السنة[1]، فهذا هو رد العلماء المعاصرين على من أنكر السنة ولم يبال بها، فهيا لنقف مع الأفذاذ الذين سخرهم الله لحماية الشريعة من التابعين وهم يردون على من لم يبال بالسنة ويوضحون عورهم.

أخرج البيهقي عن أيوب السختياني التابعي الجليل أنه قال: «إذا حدثت الرجل بسنة، فقال: دعنا من هذا وأنبئنا عن القرآن، فاعلم أنه ضال».

وقال الأوزاعي ـ رحمه الله ـ «السنة قاضية على الكتاب ولم يجئ قاضيًا على السنة»، والمعنى: أن السنة جاءت لبيان ما أُجمل من الكتاب، أو تقييد ما أطلقه، أو بأحكام لم تذكر في الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤).

وأخرج البيهقي عن عامر الشعبي ـ رحمه الله ـ: أنه قال لبعض الناس: «إنما هلكتم في حين تركتم الآثار» يعني: الأحاديث الصحيحة.

---

(١) «مجلة التوحيد» عدد ربيع الآخر ١٤٢٠ (ص ٤٠-٤٧).

القسم الثاني من مظاهر اللامبالاة بترك السُّنة

(أ) قسم أقربها، ولكنه تهاون بشأنها

وهذا القسم من الناس إما جاهل بفضل السنة وفضل الاقتداء برسول الله ﷺ، فيحتاج إلى تعليم وإرشاد لما في السنة من فوائد، وإما متكبر ومعاند مع الإقرار بها، فإن ذلك الصنف يحتاج إلى ترهيب وتخويف وبيان لسوء العاقبة.

وهيا نقف مع القسم الأول الذي يجهل الاتباع كنه وفضله وثوابه، ومكانة النوافل في الإسلام؛ لنكشف له عن ثواب السنة والعمل بها، وما يعود عليه من منافع.

أولاً ـ فضل اتباع النبي ﷺ والاقتداء به:

اعلم علمني الله وإياك .. يا من لا تبالي بترك السنن وهجرة سنة رسولك ﷺ أنك لن تنال الخير في الدنيا ولا في الآخرة إلا باتباع النبي ﷺ.

يقول سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (الأحزاب: ٢١).

قال محمد بن علي الترمذي: الأسوة في الرسول الاقتداء به، والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل.

وقال سهل في قوله تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفاتحة: ٧)، قال: بمتابعة السنة، فأمرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه، لأن الله تعالى أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويهديهم إلى صراط مستقيم، ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى، ومغفرته إذا اتبعوه، وآثروه على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم، وأن صحة إيمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه.

أن الاقتداء به واتباعه ومحبته سبب من أسباب محبة الله تعالى:

روي عن الحسن أن أقوامًا قالوا: «يا رسول الله إنا نحب الله»، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (آل عمران: ٣١).

أن الاقتداء به والاعتصام بسنته سبب من أسباب الهداية إلى الصراط المستقيم:

يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨)، فطرق الهداية كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى أثره ﷺ.

واعلم.. أن الله علَّق الفلاح وجعله مقصورًا على من اتبع النبي ﷺ، قال سبحانه: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

الجزاء العظيم لمن أحيا سنة النبي ﷺ واعتصم به:

فالاعتصام بالسنة يعدل الشهادة في سبيل الله مائة مرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: عن النبي ﷺ قال: «المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: «من أحيا سنتي فقد أحياني، ومن أحياني كان معي في الجنة»[(٢)].

---

(١) صحيح فيه محمد بن صالح العددي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٢): «لم أر له من ترجمة وبقية رجاله ثقات».

(٢) حديث حسن، رواه الترمذي في سننه (حـ ٢٦٧٨)، وقال: حسن غريب.

وقال ﷺ: «من اقتدى بي فهو مني، ومن رغب عن سنتي فليس مني»[(١)]، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «العلم ثلاثة، فما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة»[(٢)]، وجعل سبحانه الفوز العظيم لمن أطاعه واقتدى به، يقول سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١).

فصل:

في ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته، فعن مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن أسيد، أنه سأل عبد الله بن عمر فقال: «أبا عبد الرحمن إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن، ولا نجد صلاة السفر»، فقال ابن عمر: «يا ابن أخي إن الله بعث إلينا محمداً ﷺ، ولا نعلم شيئًا، فإنما نفعل كما رأيناه يفعل».

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننًا الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستعمال بطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي خلفها، من اقتدى بها فهو مهتد، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً.

وقال الحسن بن أبي الحسن: «**عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة**».

---

(١) رواه البخاري (حـ ٥٠٦٣)، ومسلم (حـ ١٤٠١).

(٢) إسناده صحيح، رواه عبد الرزاق في مصنفه (حـ ٢٠٥٦٨).

وقال ابن شهاب: «بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا: الاعتصام بالسنة نجاة»، وكتب عمر بن الخطاب إلى عماله بتعلم السنة والفرائض واللحن - أي: اللغة -، وقال: «إنا ناسًا يجادلونكم - يعني: في القرآن - فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»، وفي خبره - حين صلى بذي الحليفة ركعتين -، فقال: «أصنع كما رأيت رسول الله ﷺ يصنع».

وعن علي - حين قرن - فقال له عثمان: «ترى أني أنهى الناس عنه وتفعله»، فقال: «لم أكن أدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس»، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «صلاة السفر ركعتان، ومن خالف السنة كفر».

وقال أُبي بن كعب رضي الله عنه: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية الله، فيعذبه الله أبدا، وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه، فاقشعر جلده من خشية الله، إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها، فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة، فتحات عنها ورقها إلا حط الله خطاياه كما تَحَتُّ عن الشجرة ورقها، فإن اقتصاد في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وموافقة بدعة، وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادًا واقتصادًا أن يكون على مناهج الأنبياء وسنتهم.

وقال عمر - وهو ينظر إلى الحجر الأسود -: «إنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك» ثم قبله[1].

ورئي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان، فسُئل عنه، فقال: «لا أدري إلا أني رأيت رسول الله ﷺ يفعله».

وقال أبو عثمان الحيري: «من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة».

وقال سهل التستري: «أصول مذهبنا ثلاثة: الاقتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق، والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأعمال».

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠)، أنه الاقتداء برسول الله ﷺ.

وحُكي عن أحمد بن حنبل قال: كنت يومًا مع جماعة تجردوا ودخلوا في الماء، فاستعملت الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر. فلا يدخل الحمام إلا بمئزر»[(١)]، ولم أتجرد، فرأيت تلك الليلة قائلاً لي: «يا أحمد أبشر، فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة، وجعلك إمامًا يُقتدى به»، قلت: «من أنت؟»، قال: «جبريل»[(٢)].

ثانيًا ـ بيان فوائد السنن والنوافل:

اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن منزلة السنن في الإسلام منزلة عظيمة وهي إن لم تكن واجبة إلا أن الشارع الحكيم عدد فوائدها في الدنيا والآخرة، وحث أتباعه على اتِّباعها، وهاك بيانها:

أولاً ـ تعويض النقص في أداء الواجبات: واعلم أن النقص إما أن يكون بالتهاون في الأداء، أو بعدم الإتقان كما يجب، ومن رحمة الله بعباده أن جعله يكمل بعض النقص في الفرائض والواجبات بالأعمال التطوعية، ويدل على ذلك أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله الصلاة: فإن صلحت فقد أفلح. وإن فسدت فقد خاب وخسر، وإن انتقص من فريضته شيئًا، قال الرب: انظروا هل لعبدي من تطوع، فيكمل منها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون عمله على هذا»[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود (حـ١ ٢٨٠) ـ (جـ ٥/ ١١٣)، والنسائي.

(٢) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (جـ ١٢ من ١٨-٢٠).

(٣) رواه الترمذي.

ولاشك ـ يا عبد الله ـ أن المؤمن رغم ما يقوم به من امتثال للأوامر واجتناب للنواهي، فإنه يخاف ألا يقبل منه عمله، فيسارع في الخيرات ويكثر من الطاعات، يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٧-٦١).

قالت عائشة: «يا رسول الله، الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة، هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ؟»، قال: «لا يا ابنة الصديق، ولكنه الذي يصوم ويصلي ويتصدق وهو يخاف الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ.»[(١)]، وفي رواية: «ولكنهم الذي يصلون ويصومون ويتصدقون، وهم يخافون ألا يتقبل منهم».

ثانيًا ـ **أنها تكفر الذنوب والمعاصي:** اعلم يا من لا تبالي بترك السنة أن السنن تكفر عنك الذنوب والمعاصي، وترفع درجتك، يقول رسول الله ﷺ: «وأتبع السَّيِّئة الحسنة تمحها»[(٢)]، وروي عن عبد الله بن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ﷺ، فأخبره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود: ١١٤)، فقال الرجل: «ألي هذا؟»، قال ﷺ: «لجميع أمتي»[(٣)].

ثالثًا ـ **أنها تحصن العبد من الوقوع في المحظورات وتنجيه من المهالك والكربات:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر»[(٤)]، وقال ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خفيًا تطفئ غضب الرب، وصلة

---

(١) رواه أحمد والترمذي.
(٢) رواه أحمد في «مسنده» عن معاذ بن جبل رضي الله عنه
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه الطبراني، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦٩١).

الرحم زيادة في العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة،[١].

قال المناوي: «هذا تنويه عظيم بفضل المعروف وأهله».

قال عليٌّ رضي الله عنه: «لا يزهدك في المعروف كفر من كفر، فقد يشكره الشاكر وأضعاف جحود الكافر».

وقال الماوردي: «فينبغي لمن قدر على ابتداء المعروف أن يجعله حذرًا من فوته، ويبادر به خيفة عجزه، ويعتقد أنه من فرض زمانه، وغنائم إمكانه، ولا يمهله ثقة بالقدرة عليه، فكم من واثق بقدرة فاتت، فأعقب ندمًا، ومعول على مكنة زالت، فأورثت خجلاً، ولو فطن بنوائب دهره، وتحفظ من عواقب فكره لكانت مغارمه مدحورة ومغانمه محبورة»، وقيل: «من أضاع الفرصة عن وقتها، فليكن على ثقة من فوتها».

واسمع إلى تلك القصة التي توضح أهمية صنائع المعروف، التي حثنا عليها النبي ﷺ، هذه القصة حدثت منذ مائة سنة تقريبًا، وهي واقعية، وهذه القصة سمعت في الإذاعة في ركن البادية من الإذاعة السعودية، وهي كالآتي:

ـ يذكر رجل يسمى بن جدعان يقول: خرجت في فصل الربيع، وإذا بي أرى إبلي سمان، يكاد الربيع أن يفجر الحليب من ثديها، وكلما اقترب الحوار ـ ابن الناقة ـ من أمه درَّت عليه، وانهال الحليب لكثرة الخير والبركة، فنظرت إلى ناقة من نياقي، وابنها خلفها، وتذكرت جارًا لي له سبع بُنيَّات فقير الحال، فقلت: والله لأتصدقن بهذه الناقة لجاري، والله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ

(١) حديث صحيح، رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦٩١).

تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢)، وأحب حلالي هذه الناقة، فأخذتها وابنها وطرقت الباب على الجار، وقلت: خذها هدية مني لك، فرأيت الفرح في وجهه، لا يدري ماذا يقول، فكان يشرب من لبنها ويتحطب على ظهرها، وينتظر وليدها يكبر ليبيعه، وجاءه منها خير عظيم، فلما انتهى الربيع وجاء الصيف بجفافه وقحطه، تشققت الأرض، وبدأ البدو يرتحلون يبحثون عن الماء والكلأ، يقول: شددنا الرحال وظعنا من مكاننا نبحث عن الماء في الدحول ـ والدحول: هي حفرٌ في الأرض توصل إلى محابس مائية ـ أقبية تحت الأرض، لها فتحات فوق الأرض يعرفها البدو، يقول: فدخلت في هذا الدحل حتى أحضر الماء لنشرب ـ وأولاده الثلاثة خارج الدحل ينتظرون ـ، فتاه تحت الأرض ولم يعرف الخروج، وانتظر أبناؤه يومًا ويومين وثلاثة حتى يئسوا، قالوا: لعل ثعبانًا لدغه ومات، لعله تاه تحت الأرض وهلك، وكانوا ـ عياذًا بالله ـ ينتظرون هلاكه طمعًا في تقسيم المال، فذهبوا إلى البيت، وقسموا وتذكروا أن أباهم قد أعطى ناقةً لجارهم، فذهبوا إليه، وقالوا له: أعد الناقة خيرًا لك، وخذ هذا الجمل مكانها، وإلا سنسحبها عنوة الآن، ولن نعطيك شيئًا، قال: أشتكيكم إلى أبيكم، قالوا: اشتكي إليه، فإنه قد مات، قال: مات؟! وأين مات؟! ولِمَ لَمْ أعلم بذلك؟!، قالوا: دخل دحلاً في الصحراء ولم يخرج.

قال: ناشدتكم الله، اذهبوا بي إلى مكان هذا الدحل ثم خذوا الناقة وافعلوا ما شئتم ولا أريد جملكم، فذهبوا به، فلما رأى المكان الذي دخل فيه صاحبه الوفي وأحضر حبلاً وأشعل شمعة، ثم ربطه خارج الدحل، ونزل يزحف على كفَّيه حتى وصل إلى مكان فيه يحبو، وأماكن فيها يزحف، وأماكن يتدحرج، ويشم رائحة الرطوبة تقترب، وإذا به يسمع أنين الرجل عند الماء، فأخذ يرهف تجاه الأنين في الظلام ويتلمس الأرض، فوقعت يده على الطين، ثم وقعت يده

على الرجل، فوضع يده على أنفاسه، فإذا هو حي، يتنفس بعد أسبوع، فقام وجره، وربط عينيه حتى لا تنبهر بضوء الشمس، وجاء به إلى داره، ودبت الحياة في الرجل من جديد، وأولاده لا يعلمون، فقال: أخبرني بالله عليك أسبوعًا كاملاً أنت تحت الأرض ولم تمت، قال: سأحدثك حديثًا عجبًا.

لما نزلت ضعت وتشعبت بي الطرق، فقلت: آوي إلى الماء الذي وصلت إليه، وأخذت أشرب منه، ولكن الجوع لا يرحم، فالماء لا يكفي، يقول: وبعد ثلاثة أيام، وقد أخذ الجوع مني كل مأخذ، وبينما أنا مستلق على قفاي، قد أسلمت وفوضت أمري إلى الله، وإذا بي أحس بدفء اللبن يتدفق على فمي، يقول: فاعتدلت في جلستي، وإذا بإناء في الظلام لا أراه يقترب من فمي فأشرب حتى أرتوي ثم يذهب، يأتيني ثلاث مرات في اليوم، ولكنه منذ يومين انقطع عني، ما أدري سبب انقطاعه؟، يقول: فقلت له: لو تعلم سبب انقطاعه لتعجبت، ظن أولادك أنك مت، وجاءوا وسحبوا الناقة التي كان الله يسقيك منها، والمسلم في ظل صدقته، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢-٣)، والجزاء من جنس العمل[1].

هذا جزاء من صنع المعروف، واقتفى أثر النبي ﷺ.

رابعًا - ومن فوائد السنن: حصول القرب من الله تعالى ومحبته وتسديده.

اسمع - يا من لا تبالي بالسنة وتتهاون في أدائها - إلى ثوابها عند الله - عَزَّ وَجَلَّ -، يقول ابن رجب: الدرجة الثانية درجة السابقين المقربين، وهي أن ترتقي المحبة إلى ما يحبه الله من نوافل الطاعات وكراهة ما يكرهه من دقائق

(١) «الجزاء من جنس العمل» (جـ١) - (ص ٥١٨-٥٢١).

المكروهات، وإلى الرضا بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصائب وهذا فضل مستحب مندوب إليه، وفي (صحيح البخاري) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته**»[(١)].

ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر: ٣٢).

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «فمنهم: ظالم لنفسه، هو المفرط في فعل الواجبات المرتكب بعض المحرمات، ومنهم: مقتصد، هو المؤدي للواجبات والتارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات، ومنهم: سابق بالخيرات، وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات، وبعض المباحات».

فانظر ـ يرعاك الله ـ إلى ثوابهم كما هو مفصل في سورة الواقعة، يقول سبحانه: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ..﴾ (الواقعة: ٧-٥٦).

وانظر إلى عظيم ثواب السنن والنوافل ـ يا من لا تبالي بها ـ قال رسول الله ﷺ: «**من نفَّس عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب**

---

(١) أخرجه البخاري (جـ١١، ص٣٤٨، رقم ٦٥٠٢).

يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[(١)].

وذات يوم قال النبي ﷺ: «من أصبح اليوم صائمًا؟»، فقال أبو بكر: «أنا»، فقال: «من عاد اليوم منكم مريضًا؟»، قال أبو بكر: «أنا»، قال: «من تبع اليوم جنازة؟»، قال أبو بكر: «أنا»، قال: «من أطعم اليوم مسكينًا؟»، قال أبو بكر: «أنا»، قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعت هذه الخصال في عبد في يوم إلا دخل الجنة»[(٢)].

خامسًا ـ أن المحافظة على السنن تعين على المحافظة على الفرائض، والتنزه عن المكروهات، يؤدي إلى ترك المحرمات.

(ب) قسم أقربها، ولكنه تكبر وتهاون بها

فهذا القسم من الناس لا يبالي بالسنة، وهو يردد دائمًا: «يُثاب فاعلها ولا يُعاقب تاركها»، فجره ذلك إلى اللامبالاة والتنزه عن الاقتداء برسول الله ﷺ، وهذا القسم يحتاج إلى ترهيب وتخويف وبيان لعاقبة التهاون والتنزه عن سنة رسول الله ﷺ.

في أن مخالفة أمره وتبديل سنته ضلال

يقول القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: «ومخالفة أمره وتبديل سنته ضلال وبدعة، متوعدٌ من الله تعالى عليه بالخذلان والعذاب، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣)، وقال: ﴿وَمَن

(١) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي.
(٢) أخرجه مسلم.

يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥).

وعن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة، وذكر الحديث في صفة أُمته وفيه: «فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، فأناديهم: ألا هلم .. ألا هلم، فيُقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول: فسحقًا فسحقًا فسحقًا»[(١)].

وروي عن أنس أن النبي ﷺ قال: «من رغب عن سنتي فليس مني»[(٢)]، وقال: «من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد»[(٣)].

ورُوي ابن أبي نافع عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[(٤)].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن[(٥)] أزيغ»[(٦)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: صنع رسول الله ﷺ شيئًا ترخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فحمد الله، ثم قال: «ما بال قوم يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية»[(٧)].

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (حـ٣٩) ـ (جـ١) ـ (ص٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (حـ٥٠٦٣) ـ (جـ ٩) ـ (ص٦)، ومسلم (حـ ١٤٠١) ـ (جـ ٢) ـ (ص١٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (حـ ٢٦٩٧) ـ (جـ٥، ص٣٠١).

(٤) مرسل صحيح: أخرجه الدارمي في «سننه» (١/ ١٢٤)، وأبو داود في «المراسيل» (حـ ٤٨٥).

(٥) أخرجه البخاري (حـ ٣٠٩٣) ـ (جـ ٦/ ١٩٦).

(٦) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (جـ ٢) ـ (ص٢٢-٢٣).

(٧) أخرجه البخاري ومسلم.

وقال الإمام أحمد: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته عن رسول الله ﷺ، يذهبون إلى رأي سفيان، والله سبحانه يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣)»، ثم قال: «أتدري ما الفتنة؟»، الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله ﷺ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك، فكأني بهذا العبد الذي لا يبالي بالسنة يهوي بنفسه في نار جهنم ـ والعياذ بالله ـ».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش، وهذه الدواب اللائي يقعن في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه، فيقتحمون فيها، قال: فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار فتغلبوني، وتقتحمون فيها»[1].

ثم اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن الطاعة والاقتداء سبب من أسباب دخول الجنة، والمخالفة والابتداع سبب من أسباب دخول النار، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة، إلا من أبى»، قيل: «يا رسول الله، ومن يأبى؟!»، قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»

نزول البلاء بمن خالف توجيهات سيد الأنبياء[2]

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» ص(١٣٩-١٤٣).

١ ـ الهلاك السريع لمن رد دعاء الشفيع ﷺ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، قال: وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده، قال له: «**لا بأس طهور إن شاء الله**»، قال: قلت: «طهور!، كلا بل هي حمى تفور ـ أو تثور ـ على شيخ كبير تزيره القبور»، فقال النبي ﷺ: «**فنعم إذًا**»[1].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: قال ابن التين: «يُحتمل أن يكون ذلك دعاء عليه ويُحتمل أن يكون خبرًا عما يؤول إليه أمره»، وقال غيره: «يُحتمل أن يكون النبي ﷺ علم أنه سيموت من ذلك المرض فدعا له بأن تكون الحمى له طهور لذنوبه، ويُحتمل أن يكون علم ذلك لما أجابه الأعرابي بما أجابه».

ورجح محدِّث العصر الألباني ـ رحمه الله ـ: «ويُحتمل أن يكون خبرًا عما يؤول إليه أمره».

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ: «والظاهر أن هذا من باب التفاؤل، يعني: ما دام أنك قلت هذا فهو لك، وليس بدعاء لكن هذا الرجل غير متفائل فجعل له رسول الله ﷺ ما أراد».

وقال ـ رحمه الله ـ: «ولهذا ينبغي للإنسان أن لا يطلق لسانه في الأمور التي يتشاءم منها، كما قال الشاعر:

احذر لسانك أن تقول فتُبتلى ... إن البلاء موكل بالمنطق

---

(١) رواه البخاري.

قلت: وظاهر الحديث يدل على أن النبي ﷺ جعل له ما أراد، وذلك حين قال الأعرابي: كلا، في مقابل قول الرسول ﷺ: «لا بأس طهور إن شاء الله»، فكأن النبي ﷺ يقول له: «إن أبيت إلا هذا، فنعم إذًا، فأصبح الأعرابي ميتًا كما جاء في طرق أخرى في مصنف عبد الرزَّاق، وجاء عند الطبراني في (الكبير) والدولابي في (الكنى) أن النبي ﷺ قال: «أما إن أبيت، فهي كما تقول، وما قضى الله فهو كائن»، قال: فما أمسى من الغد إلا ميتًا.

٢ ـ *الخسارة الأليمة بسبب مخالفة الرماة للرسول ﷺ بالنزول:*

خلف الغنيمة: عن البراء رضي الله عنه قال: لقينا المشركين يومئذٍ ـ يوم أحد ـ وأجلس النبي ﷺ جيشًا من الرماة، وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير، وقال: «لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم، فلا تبرحوا، وإن ظهروا علينا، فلا تعينونا»، فلما التقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة، فقال عبد الله: «عهد إليَّ النبي ﷺ أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً . . إلخ[1]».

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «من الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد: تعريفهم سوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأنَّ الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ**﴾ (آل عمران: ١٥٢)، فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول ﷺ وتنازعهم وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذرًا ويقظة من أسباب الخذلان. اهـ.

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٤٣).

قلت ـ أبو عمار ـ: وانظر ـ رحمني الله وإياك ـ إلى الآثار المترتبة على هذه المخالفة الواحدة.

أولاً ـ نزول البلاء الشديد بالمسلمين.

ثانيًا ـ استشهاد سبعين من الصحابة.

ثالثًا ـ جرح النبي ﷺ وكسروا رباعيته اليمنى وسقوطه في الحفرة، ورميه بالحجارة، ومجموع ما حصل كما قال الحافظ ابن حجر: أنه شُج وجهه ﷺ، وكُسرت رباعيته، وجُرحت وجنتاه وشفته السفلى من باطنها، ووهى منكبه من ضربة ابن قمئة، وجُحشت ركبته، وهذا كله من شؤم المعصية، وخطر المخالفة للرسول ﷺ.

قال شيخنا مقبل الوادعي ـ رحمه الله ـ: «فيه دليل على أن المعصية من أسباب الهزيمة، ولعل في هذا عبرة لبعض الجماعات الإسلامية المعاصرة التي ترتكب بعض المعاصي كحلق اللحية، وإدخال آلات اللهو والطرب في بيوتهم من أجل مصلحة الدعوة ـ فيما زعموا ـ، وهكذا مجاراة المجتمع في إدخال التلفزيونات والفيديوهات في بيوتهم من أجل مصلحة الدعوة ـ فيما زعموا ـ.

٣ ـ الريح الشديدة تأخذ رجلاً خالف الرسول ﷺ إلى الجبال البعيدة:

عن أبي حميد رضي الله عنه قال: انطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال رسول الله ﷺ: «**ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم منكم أحد، فمن كان له بعير فليشد عقاله**»، فهبت ريح شديدة، فقام رجل، فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طي[1].

---

(١) أخرجه مسلم.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: «هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة من إخباره ﷺ بالمغيب وخوف الضرر من القيام وقت الريح، وفيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته والرحمة لهم، والاعتناء بمصالحهم وتحذيرهم ما يضرهم في دين أو دنيا، وإنما أمر بشد عقل الجمال لئلا ينفلت منها شيء، فيحتاج صاحبه إلى القيام في طلبه، فيلحقه ضرر الريح.

قلت ـ أبو عمار ـ: «وانظر عقوبة هذه المخالفة لرسول الله ﷺ كيف كانت نتيجتها، وعاقبتها وخيمة، حيث أخذت الريح هذا الرجل الذي قام بعد نهي النبي ﷺ من تبوك إلى جبلي طي في مسافات مئات الكيلو مترات».

٤ ـ *سرعة النكال لمن أكل بالشمال:*

عن إياس بن سلمة بن الأكوع: أن أباه حدثه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال رسول الله ﷺ: «كل بيمينك»، قال: «لا أستطيع»، قال: «لا استطعت. ما منعه إلا الكبر»، فما رفعها إلى فيه[1].

قلت: انظر إلى هذا الرجل الصحابي الذي خالف رسول الله ﷺ في مسألة واحدة هي في نظر كثير من الناس هينة، ولكنها في الشريعة عظيمة، فاستحق بمخالفته هذه دعوة الرسول ﷺ، فاستجاب الله دعاء نبيه، فما رفع الرجل يده إلى فيه، فأصبحت كالعصا، وهذا جزاء كل من تكبر وعصى وأعرض عن سنة المصطفى ﷺ.

قال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ في (شرح رياض الصالحين): وفي هذا دليل على وجوب الأكل باليمين والشرب باليمين، وأن

---

(١) رواه مسلم.

الأكل باليسار حرام يأثم عليه الإنسان، وكذلك الشرب باليسار حرام يأثم عليه الإنسان، لأنه إذا فعل ذلك، أي: أكل بشماله أو شرب بشماله شابه الشيطان وأولياء الشيطان.

قال النبي ﷺ: «**لا يأكل أحدكم بشماله، ولا يشرب بشماله؛ فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**»[(١)].

٥ ـ *التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان:*

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قضى رسول الله ﷺ في رجل طعن رجلاً بقرن في رجله، فقال: «يا رسول الله أقدني»، فقال له رسول الله ﷺ: «**لا تعجل حتى يبرأ جرحك**»، قال: فأبى الرجل إلا يستقيد، فأقاده رسول الله ﷺ منه، قال: فعرج المستقيد وبرأ المستقاد منه، فأتى المستقيد إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «يا رسول الله عرجت وبرأ صاحبي»، فقال له رسول الله ﷺ: «**ألم آمرك أن لا تستقيد حتى يبرأ جرحك؟، فعصيتني فأبعدك الله وبطل جرحك**»، ثم أمر رسول الله ﷺ: من كان به جرح ألا يستقيد حتى تبرأ جراحته، فإذا برأت جراحته استقاد[(٢)].

٦ ـ *سابق الإمام، فحول الله رأسه رأس حمار:*

ذكر ابن حجر عن بعض المحدثين: أنه رحل إلى دمشق لأخذ الحديث عن شيخ مشهور بها، فقرأ عليه جملة، لكنه كان يجعل بينه وبينه حجابًا، ولم ير وجهه، فلما طالت ملازمته له ورأى حرصه على الحديث، كشف له الستر،

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) رواه أحمد وغيره.

ـ «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» (ص١٤٢-١٤٣).

فرأى وجهه وجه حمار، فقال له: «احذر يا بني أن تسبق الإمام، فإنه لما مر بي الحديث استبعدت وقوعه، فسبقت، فصار وجهي كما ترى».

قلت ـ أبو عمار ـ: انظر ـ رحمني الله وإياك ـ إلى عقوبة مسابقة الإمام في الركوع والسجود، أو في أي فعل من أفعال الصلاة، فإن هذا محرم بل حتى مساواة الإمام في الركوع والسجود وغيرها من أفعال، فإن هذا من الأمور المحرمة أيضًا، وقد حذر النبي ﷺ من مسابقة الإمام، فقال: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول رأسه رأس حمار»[1].

فانظر ـ يرعاك الله ويردك إلى الصواب ـ كيف كانت نهاية هؤلاء الذين لم يبالوا بالسنة، بل استهانوا بها أو تكبروا عليها، فعاقبهم الله على صنيعهم هذا بتلك العقوبة العاجلة، وجعلهم عبرة لمن أراد الاعتبار.

(١) «سرعة العقاب» (ص١١٢-١١٣).